مكتب المحامى ولم يجده إلا فى مدرسة القرية ، فصار (معلم صبيان) فيها ، يقرئهم الف باء ، ثم ارتقت به الحال قليلا ، فصار يدرس سير الأدباء ، واشعار الشعراء ... يكد ويتعب ، فى الليل والنهار يحمل آلام الغربة ، وعناء العمل ، ثم لا ينتج أثراً أدبياً ، ولا يفيد علماً ، ولا يحفظ فى جيبه درهما واحداً ...

إنه يشتغل من أجل المستقبل ... ...

— ٩ —

أين ذلك الطفل الذى كان يكره المدرسة ، ويبغض المعلم القاسى - من هذا المعلم الفظ ، الذى يرهق الأطفال ويهز عصاه فى وجوههم ، ويقرع بها جنوبهم ... من يستطيع ان يتصور ان هذا هو ذلك ؟ وأى شبه بينهما ؟ انهما مختلفان فى الجسم والشكل والطبائع والميول ، فلن يكونا شخصاً واحداً !

أين ذلك الطالب المتحمس الذى كان يقود الطلاب الى المظاهرات ، ويخطب فى المساجد والمجامع والاسواق ؟ من هذا المدرس الخامل الذى يلقى دروس الأدب على هؤلاء الطلاب ، ويبدو فيهم كشيخ هم فى الثمانين ؟ هل هما شخص واحد ؟

ان ذلك الطالب لو رأى هذا المدرس لأبغضه وكرهه ولما تردد فى البطش به !

وأين ذلك الشاب الذى تفيض نفسه بالآمال الكبار ؟ من هذا اليائس القانط الذى لم يعد يامل فى شىء ، لأنه جرب فلم يصل الى شىء ؟

— ١٠ —

وبعد . فلم أفكر فى هذا ؟ إننى لا أدرى من أنا ، ولا أعرف كيف وجدت ، ولا أعلم ماهى صلتى بذلك الطفل الذى نسيت حتى صورة وجهه ، وذلك التلميذ الذى لم أعد أعرفه إلا بالتخيل ، وذلك الطالب الذى أحبه وأتشوق اليه ، وذلك المعلم الذى أرثى له وأشفق عليه ؟

هل أنا كل هؤلاء ؟ وماذا بعد ؟

يالله ! إنى أحس كأنى جننت حقاً ؟ !

(بغداد) **على الطنطاوى**

تحيـــة للرافعى

للأستاذ منصور فهمى بك

مات مصطفى صادق الرافعى ، وما لقيته إلا مرات قليلة قد لا تتجاوز أصابع اليد عدا ، ولم ترتبط بينى وبينه عقدة الصداقة الخاصة التى طالما يكون من شانها أن تؤلف بين قلوب الناس على الأنس والمودة فى الحياة ، وطالما يكون من شأنها فى الممات أن تؤوى الأسى فى القلوب .

على أنه إذا كان قد قل لقائى بالرافعى فى الحياة ، ولم تربطنى به علاقة وثيقة من حقها أن تدفع القلم فى سبيل الرثاء فان فى حق الوفاء لما قدم الرافعى من خير متسعاً يفسح لقلمى ولغيره من الأقلام الوفية أن تذكر ذلك الراحل العظيم .

وعظمة الرافعى التى أنوه بها الآن على عجل إنما مرجعها اتصاله الوثيق بتراثنا الأدبى القديم دون غيره فنهل من شرابه العذب ، وتغذى من خلاصاته القوية الصالحة ، فاذا بها تتمثل فى أسلوبه ، وتتغلغل فى أدبه وتهذيبه ، وتتمازج فى تفكيره وتعبيره ، وتندمج فى تقديره وتدبيره ، فاستطاع أن يشق للأدب القديم التليد ، سبيله فى الأدب الحديث الغتيد .

فاى إنسان يرى فى التراث الماضى نبل هذا التراث ولا يألم حين يفتقد حارساً يقظاً لهذا التراث وداعياً له علما ، ومعرفاً به حكيما ؟ وأى وريث لثقافة العرب لا يجزع حين يموت أديب عربى كبير كان يعرض فى أدبه للخلف ، جميل ما جادت به نفوس السلف ؟ وأى أسف لا يستولى على النفوس بموت الرافعى النابغة الأديب حين يمر على الخاطر أن الناس قد فتنوا بالحاضر ، فنسوا وعقوا محامد الغابر ؟

وإذا كان من حق الآثار الصالحة أن تبعث من قبورها ، أفلا يحق على الناس أن يأسفوا على من كان يعمل على نشرها من مراقدها ؟

وا أسفاً على الرافعى ، ثم وا أسفاً على الرافعى !

فإلى الأدباء إذن وإلى الشعراء ، وإلى آل الرافعى جميل العزاء ، وعليهم جميعاً للرافعى الأديب الكبير بعد ذلك حق الوفاء .

منصور فهمى